

١- منزلة الأشهر الحرم

الكثير من المسلمين لا يعرفون الأشهر العربية فضلا عن الأشهر الحرم وبدخول الأشهر الحرم هناك أعمال لا بد من اجتنابها قال الله تعالى {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)} التوبة: ٣٦

الشُّهُرُ الْحُرْمُ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَشَعْبَانَ، وَهُوَ رَجَبٌ مُضَرٌّ، وَقِيلَ لَهُ رَجَبٌ مُضَرٌّ لِأَنَّ رَبِيعَةَ بِنَ نِزَارٍ كَانُوا يُحَرِّمُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَيُسَمُّونَهُ رَجَبًا. وَكَانَتْ مُضَرٌّ تُحَرِّمُ رَجَبًا نَفْسَهُ، فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فِيهِ: (الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ) وَرَفَعَ مَا وَقَعَ فِي اسْمِهِ مِنَ الْاِخْتِلَالِ بِالْبَيَانِ.

فمن خصائص هذه الشهور أن الظلم فيها يزداد تحريما ويشدد تغليظا على فاعله ومن العجيب أن عباد الأوثان في الجاهلية الأولى كانوا يعظمونه

قال أبو جعفر الطبري هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن، وتحرمهن، وتحرم القتال فيهن، حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه ثم قال وأما قوله: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم)، فإن معناه: فلا تعصوا الله فيها، ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قيل لها به من سخط الله وعقابه ونقل عن قتادة قوله فإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئةً ووزراً، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء. وقال: إن الله اصطفى صفائا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل.

فهل استشعر المسلمون هذه المعاني أم أنها أيام كغيرها من الأيام!

٢- معاني الشهور العربية

المُحَرَّمُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكُونِهِ شَهْرًا مُحَرَّمًا، وَعِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ سُمِّيَ بِذَلِكَ تَأَكِيدًا لِتَحْرِيمِهِ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَتَقَلَّبُ بِهِ فَتَحِلُّهُ عَامًا وَتُحَرِّمُهُ عَامًا قَالَ وَيُجْمَعُ عَلَى مُحَرَّمَاتٍ وَمَحَارِمٍ، وَصَفَرٌ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِخُلُوقِ بَيْوتِهِمْ مِنْهُمْ حِينَ يَخْرُجُونَ لِلْقِتَالِ وَالْأَسْفَارِ يُقَالُ صَفَرَ الْمَكَانُ إِذَا خَلَا وَيُجْمَعُ عَلَى أَصْفَارٍ كَجَمَلٍ وَأَجْمَالٍ،

وشهر ربيع الأول سُمِّيَ بِذَلِكَ لِارْتِبَاعِهِمْ فِيهِ وَالْارْتِبَاعُ الْقَامَةُ فِي عِمَارَةِ الرَّبْعِ وَيُجْمَعُ عَلَى أَرْبَعَاءِ كَنْصِيبٍ وَأَنْصِبَاءِ، وَعَلَى أَرْبَعَةِ كَرْغِيفٍ وَأَرْغِفَةٍ، وَرَبِيعِ الْآخِرِ كَالْأَوَّلِ.

جُمَادَى سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجُمُودِ الْمَاءِ فِيهِ، قَالَ وَكَانَتْ الشُّهُورُ فِي حِسَابِهِمْ لَا تَدُورُ، وَفِي هَذَا نَظْرٌ إِذْ كَانَتْ شُهُورُهُمْ مَنْوُطَةً بِالْأَهْلَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ دَوْرَانِهَا فَلَعَلَّهُمْ سَمَوْهُ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَا سُمِّيَ عِنْدَ جُمُودِ الْمَاءِ فِي الْبَرْدِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَيْلَةٌ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ. . . لَا يُبْصِرُ الْعَبْدُ فِي ظِلْمَانِهَا الطُّنْبَا

لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرُ وَاحِدَةٍ. . . حَتَّى يَلْفَّ عَلَى خُرْطُومِهِ الذَّنْبَا

وَيُجْمَعُ عَلَى جُمَائِيَّاتٍ كَحَبْرَى وَحُبَارِيَّاتٍ وَقَدْ يُنْكَرُ وَيُؤَنَّثُ فَيُقَالُ جُمَادَى الْأُولَى وَالْأَوَّلُ جُمَادَى الْآخِرُ وَالْآخِرَةُ.

رَجَبٌ مِنَ التَّرَجِيبِ وَهُوَ التَّعْظِيمُ وَيُجْمَعُ عَلَى أَرْجَابٍ وَرَجَابٍ وَرَجَبَاتٍ.

شَعْبَانٌ مِنْ تَشَعُّبِ الْقَبَائِلِ وَتَفْرِقِهَا لِلْغَارَةِ وَيُجْمَعُ عَلَى شَعَابِينَ وَشَعْبَانَاتٍ.

رَمَضَانَ مِنْ شِدَّةِ الرَّمْضَاءِ وَهُوَ الْحَرُّ يُقَالُ رَمِضْتَ الْفِصَالَ إِذَا عَطِشْتَ وَيُجْمَعُ عَلَى رَمَضَانَاتٍ وَرَمَاضِينَ وَأَرْمِضَةٍ

شَوَّالٌ مِنْ شَالَتْ الْبَابِلُ بِأَذْنَابِهَا لِلطَّرَاقِ قَالَ وَيُجْمَعُ عَلَى شَوَائِلٍ وَشَوَائِيلٍ وَشَوَّالَاتٍ.

الْقَعْدَةُ بِفَتْحِ الْقَافِ، قُلْتُ وَكَسَرِهَا، لِقَعُودِهِمْ فِيهِ عَنِ الْقِتَالِ وَالتَّرْحَالِ وَيُجْمَعُ عَلَى ذَوَاتِ الْقَعْدَةِ.

الْحِجَّةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ قُلْتُ وَفَتْحِهَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِقَامَتِهِمْ الْحَجِّ فِيهِ، وَيُجْمَعُ عَلَى ذَوَاتِ الْحِجَّةِ.

٣- العدل في البغض

نظراً لاختلاف العقائد والمذاهب والآراء يحدث نوع من الجفاء بين أصحاب الملة الواحدة وقد يشتد البأس بينهم للخلاف القائم على بعض مسائل العلم ولا بد لأهل السنة أن يتميزوا عن أصحاب البدعة والمخالفين للدين الحق الذي أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- والغلو في البغض والجور في الحكم مناقض لمنهج أهل السنة والجماعة فقد يزداد البغض حتى ينسي صاحبه المنهج الذي يدعو إليه والله تعالى يقول في كتابه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } المائدة: ٨

قال أبو جعفر الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدِّي، واعملوا فيه بأمري.

وأما قوله: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا" فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة. وقال شيخ الإسلام: العَدْلُ وَاجِبٌ لِكُلِّ أَحَدٍ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي كُلِّ حَالٍ. وَالظُّلْمُ مُحَرَّمٌ مُطْلَقًا، لَا يَبَاحُ قَطُّ بِحَالٍ.

قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} الْمَائِدَةَ: ٨ وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِسَبَبِ بُغْضِهِمُ لِلْكَفَّارِ، وَهُوَ بُغْضٌ مَأْمُورٌ بِهِ. فَإِذَا كَانَ الْبُغْضُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ قَدْ نَهَىٰ صَاحِبِيهِ أَنْ يَظْلِمَ مَنْ أَبْغَضَهُ (١)، فَكَيْفَ فِي بُغْضِ مُسْلِمٍ بِتَأْوِيلٍ وَشُبُهَةٍ أَوْ بِهَوَىٰ نَفْسٍ؟ فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ لَا يَظْلِمَ، بَلْ يَعْدِلَ عَلَيْهِ.

وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحَقُّ مَنْ عَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. وَالْعَدْلُ مِمَّا اتَّفَقَ أَهْلُ الْأَرْضِ عَلَىٰ مَدْحِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَىٰ أَهْلِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ. وَالظُّلْمُ مِمَّا اتَّفَقُوا عَلَىٰ بُغْضِهِ وَذَمِّهِ وَتَقْبِيحِهِ، وَدَمَّ أَهْلُهُ وَبُغْضِهِمْ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْكَلَامَ فِي التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّ، فَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي مُصَنَّفٍ مُفْرَدٍ، وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ أَنَّ الْعَدْلَ مَحْمُودٌ مَحْبُوبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهُوَ مَحْبُوبٌ فِي النَّفُوسِ، مَرْكُوزٌ حُبُّهُ فِي الْقُلُوبِ، تُحِبُّهُ الْقُلُوبُ وَتَحْمَدُهُ، وَهُوَ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي تَعْرِفُهُ

الْقُلُوبُ، وَالظُّلْمُ مِنَ الْمُنْكَرِ الَّذِي تَتَكَرَّرُهُ الْقُلُوبُ فَتَبْغُضُهُ وَتَذُمَّهُ.

وَاللَّهُ تَعَالَىٰ أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [سُورَةُ الْحَدِيدِ: ٢٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ}

[سُورَةُ الشُّورَى: ١٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [سُورَةُ النَّسَاءِ: ٥٨].

وَقَالَ: {إِذَا جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٤٢].

وَقَالَ: {فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٤٨] فَأَمَرَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِالْقِسْطِ وَأَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ الْقِسْطُ هُوَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ هُوَ الْقِسْطُ، وَالْقِسْطُ هُوَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

وَلِهَذَا وَجَبَ عَلَى كُلِّ مَنْ حَكَمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَنْ يَحْكُمَ بِالْعَدْلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سُورَةُ النَّسَاءِ: ٥٨] فَلَيْسَ لِحَاكِمٍ أَنْ يَحْكُمَ بِظُلْمٍ أَبَدًا، وَالشَّرْعُ الَّذِي يَجِبُ عَلَى حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ الْحُكْمُ بِهِ عَدْلٌ كُلُّهُ، لَيْسَ فِي الشَّرْعِ ظُلْمٌ أَصْلًا، بَلْ حُكْمُ اللَّهِ أَحْسَنُ الْأَحْكَامِ. (١)

إني أرى اليوم نوعًا من الشماتة والظلم ممن يدعي منهج أهل السنة والجماعة لطائفة من المسلمين نختلف معها في الكثير من الرؤى ولكن ليس من صفات المؤمنين الفرح بقتل مسلم فضلًا عن تفويضه لقتله ثم الفرح بذلك والتغني به في الطرقات

منهج أهل السنة عدل في الحب والبغض في الولاء والبراء والكثير ممن يدعي هذا المنهج قد أساء البغضُ العَدْلَ

أسأل الله أن يطهر القلوب من الحسد والغل والظلم والطغيان وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتبه

أحمد بن سليمان

(١) منهاج السنة النبوية (١٢٦/٥)